

تقرير المؤتمر الدولي

"مؤلف ماركس رأس المال بعد 150 عاما: نقد وبديل للرأسمالية"

باباك أميني/ مدرسة لندن للاقتصاد

عن اللجنة المنظمة

أستضافت جامعة يورك الكندية مؤتمرا دوليا يمكن اعتباره أهم حدث أكاديمي في العالم في الذكرى السنوية الـ 150 لأول إصدار للمجلد الاول من رأس المال 1867. وقد جمع هذا المؤتمر الدولي (24-26 مايو)، بعضا من كبار الباحثين في مجالات علم الاجتماع والسياسة والعلوم، والفلسفة، من أكثر من 20 جامعة ومجلة نظرية و 10 بلدان، لمناقشة نقدية لتاريخ، ومحتوى، والأهمية الراهنة لهذا المؤلف العظيم. نظم هذا الحدث مجموعة "ماركس كوليجيوم" (جامعة يورك)، تحت إشراف مارسيلو مستو، أستاذ علم الاجتماع في جامعة يورك.

استقطب المؤتمر، الذي استغرق ثلاثة أيام، عددا كبيرا من المهتمين تجاوز عددهم الالف من طلبة وعلماء وناشطين سياسيين واجتماعيين جاؤا من مختلف المقاطعات الكندية بالإضافة الى بلدان مختلفة ومتنوعة مثل نيبال واليابان والمكسيك ونيكاراغوا. ففي الجلسة الختامية التي تحدث فيها البروفيسور إيمانويل والرشتاين تجاوز عدد الحاضرين 300 شخص.

من بين الشخصيات التي قدمت مداخلات قيمة في المؤتمر: إيتين بالبير (جامعة غرب فرنسا، فرنسا)، ساسكيا ساسين (جامعة كولومبيا، أميركا)، بوب يوسوب (جامعة لانكستر، المملكة المتحدة)، جون بيلامي فوستر (جامعة أوريغون، أميركا)، سيلفيا فيديريجي (جامعة هوفسترا، أميركا)، ريتشارد وولف (المدرسة الجديدة، أميركا)، موشيه بوستون (جامعة شيكاغو، أميركا)، كيفين اندرسون (جامعة سانتا باربرا، أميركا)، بيرتل اولمان (جامعة نيويورك، أميركا)، ليو بننش (جامعة يورك، كندا)، اورسلا هوس (جامعة هيرتفوردشاير، المملكة المتحدة)، مايكل كرينك (جامعة لانكستر، المملكة المتحدة)، هيماني بانيرجي (جامعة يورك، كندا)، سيون جن جيونغ (جامعة جيونغسانغ الوطنية، كوريا الجنوبية)، ماريو بوجيري (جامعة يورك، كندا)، ألفونسو موريزيو اياكونو (جامعة بيزا، إيطاليا)، بيترو باسو (جامعة فينيس، إيطاليا)، جورج كومونيل (جامعة يورك، كندا)، غاري تيبيل (جامعة جون فريزر، كندا)، وليم روبرت (جامعة ميغيل، كندا).

نشير الى ان تلخيص اوراق البحث الـ 27 المقدمة في المؤتمر هو خارج حدود هذا التقرير القصير. ويهدف الاختيار أدناه إلى عرض بعض المساهمات الأصلية، التي تمثل المواضيع العامة الأربعة للمؤتمر، وهي تاريخ نشر واستقبال رأس المال عالميا، والتفسير "خارج الاقتصاد" لرأس المال، وراهنية وأهمية رأس المال، وحدود رأس المال، وإعادة قراءة رأس المال في ضوء المخطوطات التحضيرية.

خصصت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر للمشروع الجاري لكتابة التاريخ العالمي لنشر واستقبال رأس المال عالميا. وقد شارك عدد من المساهمين في هذا المشروع الجماعي الذي سيتم نشر نتائجه في كتاب قادم بعنوان "دليل روتليدج لماركس" رأس المال: تاريخ عالمي للترجمة والنشر والاستقبال (لندن: روتليدج)، حرره مستو وباباك أميني (كلية لندن للاقتصاد) عرضوا النتائج التي توصلوا إليها في هذه الجلسة [الكتاب سيتضمن فصلا عن العالم العربي للباحث ثامر الصفار، ث.ج.]. وروى كل متكلم قصة ترجمة مختلفة لرأس المال في سياق تاريخ تغلغل الماركسية في بلدانهم، وسلط الضوء على التفسيرات الأكثر تأثيرا لرأس المال وتأثيراتها على الاستقبال العام لماركس.

وخصص عدد كبير من الأبحاث التي قدمت في المؤتمر لتقديم تفسيرات جديدة لرأس المال في ضوء المناقشات البيئية، والمنظور غير الأوروبي، والنقد النسوي. ومن أبرز الأمثلة التي تقع في هذا المجال البحثين التي قدمها فوستر، وفيدريجي. حيث أكد فوستر على إن رأس المال يمكن أن يقرأ كنفذ إيكولوجي للاقتصاد السياسي. وأظهرها الموضوع التي يتجلى فيها التفكير الإيكولوجي في كتابات ماركس، من أطروحة الدكتوراه إلى كتاباته الناضجة، وكيف جرى إهمال مثل هذه الاعتبارات من قبل المفكرين الماركسيين المعاصرين. وتتبع الباحثان جذور التفكير الإيكولوجي لماركس إلى المفهوم المادي للتاريخ الذي كان دائما في حالة ترابط فعلي مع المفهوم المادي للطبيعة. كما أكد ان إهمال الجانب الإيكولوجي في الفكر الماركسي سيعيق تقديم الصورة الحقيقية لماركس ونقده للرأسمالية المعاصرة.

وبحثت ورقة فيدريجي الموسومة "ماركس، الجندر و إعادة انتاج الطبقة العاملة" مفهوم ماركس للعمل الإنجابي في فهم وتوقع النمو الفعلي للعلاقات بين الجنسين مع الرأسمالية التاريخية وعواقبها الماركسية في فهم الآليات الداخلية للصراع الطبقي. وانتقدت فيدريجي ماركس، لعدم رؤيته العملية غير الجلية للعيان، بدءا من ثمانينيات القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى، لتشكيل أسرة البروليتاريا، التي تتسم بالاستغلال المتزايد للنساء والأطفال وإدخال "الأجر الأسري". وقالت إن عدم رؤية ماركس لذلك مرتبط بقصور إطراره النظري ليشمل العمل المنزلي في عملية العمل لانجاب الاطفال. كما ربطت ذلك أيضا بانعدام ثقة ماركس في العمل غير المأجور كموضوع للنضال المناهض للرأسمالية.

موضوع هام آخر من مواضيع المؤتمر تمحور حول دراسة نقدية لاستمرار راهنية وأهمية رأس المال في توفير إطار لفهم التحولات في عصرنا وطبيعة التنمية الرأسمالية. ومن الابحاث النموذجية التي ناقشت ذلك البحث الموسوم "الأزمة الحالية وفوضوية القيمة" لبوستون. حيث أكد إن فهم الرأسمالية باعتبارها شكلا مجردا محدد تاريخيا للهيمنة، هو الأكثر أهمية في سياق الأزمة الاقتصادية الراهنة، والبروز المثير للقلق لليمين المتطرف. واقترح أن الرأسمالية قد شيدت شكلا تاريخيا محددًا من الزمانية التي تعمل على قاعدة هيمنة الناس بمرور الوقت، مما يجعل من البروليتاريا فائضا غير ضروري من جهة بينما يعيق بشكل متزايد إمكانية إلغاء الرأسمالية. وتخلق هذه العملية ظروفا مواتية يصعب فيها فهم فائض العمل على أنه فائض الناس.

ومن بين الموضوعات الرئيسية للمؤتمر مناقشة مدى تمكن الباحثين الماركسيين، اليوم، من إعادة بناء مراحل نقده للاقتصاد السياسي في ضوء توفر نصوصا جديدة لماركس-إنجلز-يجري نشرها في مشروع المولفات الكاملة – المرحلة الثانية (MEGA²). من اهم الابحاث كان البحث الذي قدمه كراتك، "لماذا وبأي معنى يكون رأس المال عملا غير مكتمل؟". أكد الباحث على إن رأس مال ماركس لا يزال غير مكتمل في العديد من الجوانب الأساسية. فالمشاكل التي حددها ماركس ولكن لم يتمكن من حلها بصورة كاملة يمكن ان تكون بالنسبة لنا خارطة طريق للمزيد من البحوث. وعين كراتك في ما ادعى ماركس أنه حقه، مثل التمييز بين العمل الملموس والمجرد، والشكل العام لقيمة الفائضة، ورأس المال الثابت والمتغير. كما قام بتقييم العديد من التفسيرات حول عملية البحث عند ماركس سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة ارتباطا برأس المال من 1842 إلى 1882، محاججا بان علينا ان نفهم عملية البحث عند ماركس على أنها عملية متقطعة للغاية لتعلم مشكلة صعبة للغاية ومتطورة. واستعرض القضايا التي لم تحل من قبل ماركس، وتكهن بالاسباب التي منعت ماركس من وضع حل لها خلال حياته.

ومن بين الابحاث المهمة أيضا ، البحث الذي قدمه مورو بوجيري والموسوم " استمرارية النزعة الانسانية عند ماركس: من المخطوطات الاقتصادية والفلسفية 1844 الى راس المال " حيث تطرق الى سعي النيوليبرالية المعاصرة الى " إنهاء الانسان " في مستنقعها بعد ان حولت الحياة الى مجرد سلعة، باعتبارها قيمة فائضة. إن التجديد الجذري ضروري الآن، ليس فقط في ضوء التاريخ المأساوي للقرن العشرين،

وإنما أيضا للتقدم التكنولوجي والعلمي الجذري في السنوات الثلاثين الماضية في ميادين التكنولوجيا الحيوية وعلم النسل التي تهدد إنسانيتنا. وباختصار، هناك حاجة إلى إنسانية جديدة في هذا الوقت في مواجهة الآفات النيوليبرالية عندما يمكن بيع وشراء الجميع. ومع ذلك، ثمة أمل ووعود بوجود مخرج من هذه الازمة مستمد من تاريخ الإنسانية، وعلى وجه الخصوص من النزعة الإنسانية لماركس، يمكن النظر إليه في ضوء التنظير الفلسفي والعلمي والثقافي المعاصر. ويرى بوجيري ان الوقت قد حان للعودة إلى إنسانية ماركس (وإلى الإنسانية الماركسية لفروم، بلوخ وماركوس) التي يعتقد أنها أساس كل أعمال ماركس من المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام 1844 إلى *رأس المال*، ولكل النظريات الإنسانية.

ترجمة الثقافة الجديدة